مجلّة الذخيرة للبحوث و الدراسات الإسلامية المجلد الثالث العدد الأول (جوان 2019 م)
قسم العلوم الإسلامية / جامعة غرداية
E-ISSN: 2588-1728 / P-ISSN: 2602-7518
http://eddakhira.univ-ghardaia.dz

عدالة الصحابة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة

الباحثة: ابتسام الصخرة
ط. د. جامعة الحسن الثاني/الدار البيضاء/المغرب
ibtissamsekhara@gmail.com

ملخص

إن معرفة فضل الصحابة –رضي الله عنهم– وعلو قدرهم، ومالهم من عظيم المنزلة من أهم ما يجب على كل مسلم التفطن له، لتسلم عقيدته ويستقيم دينه، كيف لا وهم الحلقة الواصلة بيننا وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهم حملة الوحي، وشهود الرسالة، والطعن فيهم طعن في الدين وطعن في صحة الرسالة، و لقد أثنى الله تعالى على الصحابة الكرام الثناء الأوفر، وعدّلهم سبحانه عدالة تامة غير ناقصة، وذلك في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ المبلغ عنه، فأما في القرآن الكريم فقد تنوعت دلالاته وتراكيب تعديله لهم، و أما في السنة النبوية فقد جاءت أحاديث كثيرة مستفيضة أظهرت فضلهم وعلو قدرهم و أكدت عدالتهم، وهذا ما سأتناوله بالتفصيل في هذا البحث بإذن الله . وأسال الله التوفيق .

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم – الصحابة – السنة النبوية – العدالة – العصمة

Résumé

La connaissance de la vertu des compagnons - qu'Allah leur plaise - et au-dessus de leur destin, et de leur argent provenant du grand statut de la chose la plus importante dont tout musulman doit être conscient, à accepter sa foi et à établir sa religion, comment ne pas faire le lien entre nous et notre prophète Muhammad, la paix soit sur lui, La lettre et leur appel contestaient la religion et contestaient la validité de la lettre, et Dieu louait les compagnons d'hommage élogieux, et la justice tout-puissant, la justice absolue est incomplète, et dans son livre et le Prophète - paix soit sur lui - soit rapporté, soit dans le Coran a perdu Ses différentes significations et structures ont été modifiées et, dans la Sunna prophétique, de nombreuses longues conversations ont eu lieu C'est ce que je vais discuter en détail dans cette recherche. Si Dieu le veut, je lui demande de réussir.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و على آله و صحبه أجمعين.

أما بعد، فإن بيان عدالة الصحابة وشرف منزلتهم جميعا، مقرر في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع الأمة المعصوم، ورغم هذا كله فإن أهل الأهواء والبدع كانوا ولا يزالون يلبسون على العامة الرعاع والدهماء الغوغاء، لتشويه صورة هذا الجيل الفريد، بخيوط شبههم أوهى من بيت العنكبوت، تمسكوا بها على بطلانها لنفي العدالة عن خير الناس بعد أنبياء الله ورسله.

أهمية الموضوع و أسباب اختياره :

- أهمية الموضوع مستمدة من أهمية العقيدة، إذ شرف العلم بشرف المعلوم و هو علم أصول الدين .
- أن فيه بيان عقيدة أهل السنة والجماعة تجاه الصحب الكرام وأرومة اعتقادهم المستمد من القرآن والسنة.
- دراسة المنهج العلمي الذي سلكه الأئمة المجتهدون .
- العمل بوصية رسول الله ﷺ لحفظ جناب الصحابة رضوان الله عليهم.
- ظهور بعض المنتسبين للعلم الطاعنين في عدالة الصحابة رضي الله عليهم .
- شيوع مد الروافض وأذنابهم في كل بقاع الأرض، وفي نكبات العنكبوت، والقنوات الفضائية الباعث على شيوع شبههم، والحاجة إلى التحصن من تلك الشبهات.

خطة البحث :

أما خطة البحث التي سرت عليها، فقد حوت بعد المقدمة أربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول : تعريف العدالة لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : ثناء و تعديل أئمة المذاهب الأربعة للصحابة الكرام.

المبحث الثالث : : عدالة الصحابة في القرآن الكريم

المبحث الرابع: عدالة الصحابة في السنة النبوية الصحيحة.

خاتمة : تضم أهم النتائج و التوصيات .

منهجي في البحث :

1- سلكت مسلك الاختصار، وعدم التطويل، نظرا لتشعب الموضوع وكثرة مسائله، فما لا يدرك كله لا يترك جله، فمهما بذلت من الجهد فلن أوفيه حقه.

2- عزوت كل آية ورد ذكرها في رسالتي بذكر اسم السورة ورقم الآية و جعلتها مشكولة بين معقوفتين .

3- خرجت الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما، وذلك لصحة أحاديثهما وتلقي الأمة لهما بالقبول.

وإن لم يكن الحديث في الصحيحين خرجته من كتب السنة الأخرى، وحرصت بقدر المستطاع على نقل أقوال أهل الحديث في الحكم عليه صحة وضعفا.

4- عند تخريج الأحاديث فإني أعزوها إلى الجزء والصفحة من الكتاب، ثم أردف ذلك بالكتاب باسمه والباب باسمه، ورقم الحديث.

5- لم أعتن بذكر صحة الآثار المروية عن الصحابة و التابعين لعدم وقوف أحكام المحدثين عليها.

6- خرجت ما أوردته من نقولات ثابتة عن أهل العلم من مضامينها مع ذكر الجزء والصفحة.

المبحث الأول : تعريف العدالة لغة واصطلاحا :

العدالة لغة :

جاء في مختار الصحاح للرازي : "العدل ضد الجور يقال (عدل) عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله و(معدلته) بكسر الدال وفتحها، وفلان من أهل (المعدلة) بفتح الدال أي من أهل العدل، ورجل (عدل) أي رضا ومقنع في الشهادة، وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضا : وهو جمع عدل.... إلى أن قال : وتعديل الشيء : تقويمه، يقال : عدله تعديلا فاعتدل أي : قومه فاستقام" [1].

وجاء في لسان العرب : "رجل عدل بين العدل والمعادلة : وصف بالمصدر، معناه ذو عدل، قال الله تعالى في موضعين: ﴿**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾"[2]، ﴿**يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم**﴾[3]، ويقال رجل عدل ورجلان عدل، ورجال عدل، وامرأة عدل، ونسوة عدل، كل ذلك على معنى رجال ذوو عدل، ونسوة ذوات عدل، فهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فإن رأيته مجموعا، أو مثنى أو مؤنثا، فعلى أنه قد أجرى مجرى الوصف الذي ليس بمصدر.[4]

وجاء في القاموس: "العدل ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة و العدولة و المعدلة و المعدلة"[5].

يظهر من خلال هذه التعريفات أنّ مفهوم العدالة في اللغة هو الاستقامة، وأن العدل هو الذي لم تظهر منه ريبة[6]، فكان مرضيا يقنع به[7].

---

1 – مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص 232.

2 – سورة الطلاق، الآية 2.

3 – سورة المائدة، الآية 107.

4 – لسان العرب لابن منظور (4/2838).

5 – القاموس المحيط، للفيروز ابادي، ص 1030.

6 – لسان العرب لابن منضور، مادة (عدل) (4/2839).

7 – المصباح المنير في غريب الشرع الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، ص 150.

العدالة اصطلاحا :

وأما تعريف العدالة في الاصطلاح، فإني أجد مع تنوعها عند أهل العلم تتفرع عن أصل واحد وهو المعنى اللغوي السابق المختار، وهو الاستقامة نقيض الانحراف.

وخلاصة تعاريف أهل العلم تصب أيضا في مصب واحد على تنوعها وتباينها من جهة تراكيب عباراتهم، وسأذكر تعاريف جلة من أهل العلم لأخلص في نهاية هذا المطلب إلى تعريف جامع مانع حسب المستطاع بحول الله وقوته سبحانه.

تعريف الخطيب البغدادي :

العدل هو من عرف بأداء فرائضه، ولزوم ما أمر به، وتوقي ما نهي عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته، والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه ومعروف بالصدق في حديثه، ليس يكفيه في ذلك اجتناب كبائر الذنوب التي يسمى فاعلها فاسقا حتى يكون مع ذلك متوقيا لما يقوله كثير من الناس"[1].

تعريف الغزالي :

العدالة عبارة عن استقامة السيرة والدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس، تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه. فلا ثقة بقول من لا يخاف الله تعالى خوفا وازعا عن الكذب.

ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي، ولا يكفي أيضا اجتناب الكبائر، بل من الصغائر ما يرد به، كسرقة بصلة، وتطفيف حبة قصدا.

و بالجملة : كل ما يدل على ركاكة دينه، إلى حد يستجرئ على الكذب بالأغراض الدنيوية. كيف، وقد شرط في العدالة التوقي عن بعض المباحات القادحة في المروءة، نحو الأكل في الطريق، والبول في الشارع، وصحبة الأراذل وإفراط المزح.

1 – الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ص 94.

والضابط في ذلك –فيما جاوز محل الإجماع– : أن يرد إلى اجتهاد الحاكم، فما دل عنده على جراءته على الكذب، رد الشهادة به وما لا فلا. [1]

تعريف ابن الحاجب [2]:

" العدالة هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ليس معها بدعة، وتتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر، و بعض المباح كاللعب بالحمام والاجتماع مع الأراذل، والحرف الدنيئة مما لا تليق به ولا ضرورة[3].

تعريف ابن حجر :

"المراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى : اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة " [4].

تعريف السيوطي :

"هيئة راسخة في النفس تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة وهذه أحسن عبارة في حدها وأضعفها قول من قال : اجتناب الكبائر والإصرار على الصغائر، لأن مجرد الاجتناب من غير أن تكون عنده ملكة وقوة تردعه عن الوقوع فيما يهواه غير كاف في صدق العدالة، ولأن التعبير بالكبائر بلفظ الجمع يوهم أن ارتكاب الكبيرة الواحدة لا يضر وليس كذلك، ولأن الإصرار على الصغائر من جملة الكبائر "[5].

على العموم فإن هاته التعاريف تتفق على أن العدالة هي ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى، والمحافظة على المروءة مع اجتناب خوارمها ونواقضها،

1 – المستصفى من علم الأصول، للغزالي (2/ 231/232).

2 – هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، شيخ المالكية وإمام العربية، من مؤلفاته (الكفاية في النحو) ، (منتهى السؤل والأمل)، توفي سنة 646ه (السير 25/ 264).

3 – مختصر منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل، لابن الحاجب (1/ 568–574).

4 – نزهة النظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر العسقلاني، ص 68.

5 – الأشباه والنظائر في قواعد و فروع فقه الشافعية، للسيوطي (2/ 129).

وهذا لا يتحقق إلا بفعل المأمور به وترك المنهي عنه، وتحقق الشروط الموجبة لتنزيل الحكم من الإسلام والتمييز والبلوغ وانتفاء الموانع من الفسق والجنون.

والمراد بالفسق هو الوقوع في كبائر الذنوب التي تزيل صاحبها من دائرة العدالة والتقوى نسأل الله السلامة والعافية، أو الإصرار على الصغائر الموجبة أيضا لزوال صفة العدالة لما علم أن ملازمة الصغائر والإصرار عليها تتركب حتى تنزل منزلة الكبيرة. ومن ذلك ما كثر واشتهر ذكره عند العلماء قديما، قولهم "لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار".

والمروءة في مجمل عبارة العلماء، هي تلك الآداب النفسية التي تحمل صاحبها على الوقوف عند مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، ومعالي الأمور، وأن ما يخل بالمروءة مردّه إلى سببين اثنين :

الأول : ارتكاب الصغائر من الذنوب التي تدل على الخسة، كسرقة شيء حقير لم يستوجب فاعله حدا.

الثاني : فعل بعض الأشياء المباحة التي ينتج عنها ذهاب ماء الوجه وسفول صاحبها في أعين الناس بخفة عقله وكثرة طيشه.

ويقول الدكتور ناصر الشيخ حفظه الله : "ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجميعهم رضي الله عنهم عدول، تتحقق فيهم صفة العدالة، ومن صدر منه ما يدل على خلاف ذلك كالوقوع في معصية سرعان ما يحصل منه التوجه إلى الله تعالى بالتوبة النصوح الماحية التي تحقق رجوعه وتغسل حوبته رضي الله عنهم أجمعين"[1].

وهذا أمر قد دل عليه واقع الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فاستصحابنا لدوافع سلوكهم ينبينا عن متانة دينهم التي تعصمهم من الوقوع في عظائم الأخطاء كالكذب المسقط للعدالة بالكلية، ولذلك ذهب جمع غفير من النقاد إلى عدم قبول رواية الكاذب وإن تاب لشكهم في صدق توبته لما علم من عادة كذبه.

1- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﷺ، الدكتور ناصر الشيخ، ص 799.

وأما الصحابة ولله الحمد ما علم عنهم شيء من ذلك.

وسيأتي معي ذكر هذا الأخير بنوع من التفصيل في المبحث الموالي بحول الله تعالى.

العدالة لا تقتضي العصمة :

إن ما نعتقده ولله الحمد نحن معشر أهل السنة والجماعة اعتقادا جازما لا يعتريه مقدار ذرة من شك، ولا فتيل من ريب أن العصمة محصورة في أنبياء الله ورسله، أما سواهم من البشر فراد ومردود عليه ومعيب ومخطئ.

وقد ثبت عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس – رحمه الله – قوله "ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك، إلا النبي ﷺ".[1]

ومنهج أهل السنة والجماعة المقرر لعدالة الصحابة رضي الله عنهم لا يلزم منه أنهم معصومون من الخطأ والسهو والغفلة والنسيان. ولا يقتضي تعديلهم أنهم على درجة واحدة في الفضل والتقوى، والعلم والإيمان، بل هم درجات ومراتب، فأفضلهم أبو بكر ثم عمر فعثمان فعلي ثم باقي العشرة ثم أهل بدر.

وإنما هي استقامة ثابتة وتربية حسنة، ببركة وفضل خلطتهم برسول الله ﷺ : إذ ربّاهم رسول الله عليه الصلاة و السلام على الصدق في الكلمة، وتجريد النية لله تعالى، ودرجوا على أن يكونوا وقّافين عند حدود الله إذا ذكر أحدهم بالله تذكّر، وإذا بلغ أحدهم أمر من الله تاب وأناب، فهم حملة راية "سمعنا وأطعنا"، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

فلهذا إن ما ندين الله به في حقهم، أنهم أبعد الناس عن الكذب على رسول الله ﷺ لما علموا أن في ذلك إيجاب دخول النار والعياذ بالله. ولهذا كان لزاما على كل

1 – نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين، وصححه عنه ابن عبد الهادي في "إرشاد السالك" (227/1)، وقد رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (91/2)، وابن حزم في أصول الأحكام (165/6-179) وصححه العلامة الألباني في صفة الصلاة (ص 49).

2 - سورة النساء ، الآية 65 .

مؤمن أن يردّ هاته الفرية، وأن يستصحب دوافع سلوك الصحابة، وأن يردّ كل تهمة رموا بها إلى أصل إيمانهم وإلى أرومة أخلاقهم ليكون من الذين قال الله فيهم وعنهم **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[1].

المبحث الثاني : ثناء و تعديل أئمة المذاهب الأربعة للصحابة الكرام:

و قد تواطأت أقوال الأئمة الأربعة على بيان مكانة الصحابة الكرام و تحريم التنقيص منهم و الحط من أقدارهم، و هذه بعض أقوالهم :

– قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله :"ولا نذر أحدا من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بخير" [2].

وقال رحمه الله :"ولا نتبرأ من أحد من أصحاب الرسول ﷺ و لا نوالي أحدا دون أحد" [3].

– وقال الإمام مالك بن أنس: "من يبغض أحدا من أصحاب النبي ﷺ وكان في قلبه عليه غلّ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ قول الله تعالى "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى" إلى قوله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾[54].

وذكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقال مالك هذه الآية ﴿محمد رسول الله﴾ إلى قوله ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾، ثم قال :"من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فقد أصابته الآية.[6]

– أورد البيهقي عن الشافعي أنه قال :"أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من

1 – سورة الحشر ، الآية 10

2 – الفقه الأكبر، لأبي حنيفة (ص 304).

3 – المصدر نفسه، (ص 303).

4 – سورة الحشر ، الآية (6–10).

5 – الحلية (327/6).

6 – الحلية (327/6)، شرح السنة للبغوي (229/1).

الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما أتاهم في ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاما وخاصا وعزما وإرشادا وعرفوا من سنة ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أهدى وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم.[1]

– قال الإمام أحمد في كتابه السنة "ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم. فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدا منهم فهو مبتدع رافضي، حبهم سنة والدعاء لهم قربة و الاعتناء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة"[2].

المبحث الثالث : عدالة الصحابة في القرآن الكريم :

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة الكرام الثناء الأوفر، وعدّلهم سبحانه عدالة تامة غير ناقصة، وذلك في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ المبلغ عنه، ولقد تنوعت دلالات القرآن وتراكيب تعديله لهم، حيث نجد تعديل الصحابة بمجموعهم تارة بتعديله للمهاجرين والأنصار، ومن تبعوهم واقتفوا آثارهم تارة، وتارة أخرى نجد تعديلا لأعيانهم تصريحا لا تنصيصا وذلك بذكر فضائل بعضهم كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وهذا يظهر ببيان سبب نزول الآية المعين على فهم مراد الله تعالى، الدال على فضل من نزلت فيه من مدح وثناء.

وسأعرض إن شاء الله تعالى أظهر المواطن القرآنية الدالة على عدالة الصحابة الكرام، وعلى فضلهم ودرجتهم السنيّة، حسب الترتيب المصحفي بادئة بأول موطن مرورا بالذي يليه، ولا أزعم استقصاء كل ما ورد في القرآن من ذلك، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك جلّه.

1 – مناقب الشافعي للبيهقي (442/1).

2 – السنة للإمام أحمد، ص 77.

الآية الأولى : يقول تعالى في سورة البقرة : ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[1].

"ووجه الاستدلال بهذه الآية أن معنى كلمة "وسطا" أنهم "عدول خيار" ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة. وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عامّا إلا أن المراد به الخصوص وقيل إنه وارد في الصحابة دون غيرهم. [2]

الآية الثانية: قوله تعالى : ﴿**السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[3]

"يخبر تعالى عن رضاه عن المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان"[4] قال الإمام ابن تيمية "فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتّبعوهم بإحسان"[5].

"لقد صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان، أنهم داخلون معهم في رضوان الله تعالى، والوعد بالخلود في الجنات والفوز العظيم، وبيّن في موضع آخر، أن الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم في الخير، كقوله جلا وعلا : ﴿**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾[6].. الآية، وقوله تعالى :﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا**﴾[7].... الآية. وقوله :﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ**﴾[8]. ولا يخفى أنه تعالى صرّح في هذه الآية الكريمة، أنه قد رضي عن السابقين الأولين من

1- سورة البقرة، الآية 143.
2 – الكفاية، للخطيب البغدادي، ص 64.
3 – سورة التوبة ، الآية 100.
4 – تفسير ابن كثير، (4/ 203).
5 – الصارم المسلول لابن تيمية (3/ 1067).
6 – سورة الجمعة ، الآية 3.
7 – سورة الحشر ، الاية 10.
8 – سورة الأنفال ، الآية 75.

المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبّهم ويبغضهم، أنه ضال مخالف لله –جلا وعلا– حيث أبغض من رضي الله عنه، ولاشك أن بغض من رضي الله عنه مضادّة له – جلا وعلا– وتمرد وطغيان"[1].

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾.[2]

في ساعة العسرة: أي في غزوة تبوك كما قال مجاهد[3]، وقد شهد هذه الغزوة جميع الصحابة رضي الله عنهم، أما الثلاثة الذين خلّفوا فقد نزلت توبتهم بعد ذلك.

وهذه الآية دالة على منزلة الصحابة –رضوان الله عليهم– وفضلهم عند الله عزّ وجل وقد افتتحت بالبشارة لرضى الله على المؤمنين الذين غزوا تبوك كما أشار إلى ذلك "الطاهر بن عاشور" في تفسيره لهذه الآية.[4]

الآية الرابعة : قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾[5].

وفي هذه الآية دلالة ظاهرة على عدالة الصحابة الذين شهدوا مع النبي ﷺ صلح الحديبية، وقد كانوا ألفا وأربعمائة كما في حديث جابر: "كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة"[6].

قال ابن عطية :في قول الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ تشريف وإعلام برضاه عنهم حين البيعة، وبهذا سميت بيعة الرضوان.[1]

---

1 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (312/2)

2 – سورة التوبة، الآية 117

3 – تفسير الطبري (540/14).

4 – التحرير والتنوير (49/12)

5 – سورة الفتح الآية 18.

6 – صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، رقم 1956 .

ومن دلائل عدالتهم كذلك، تزكية الله لهم ظاهرا وباطنا :"فعلم ما في قلوبهم" قال ابن كثير : "أي من الصدق والوفاء، والسمع والطاعة"، [2] ولذلك رضي الله عنهم من فوق سبع سماوات والرضا من الله كما قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى -:"صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا – ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدا – فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء والمدح له. فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك"[3].

الآية الخامسة : قوله تعالى ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[4].

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى :"بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة – رضي الله عنهم– الذين فتحوا الشام يقولون : "والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا" وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ وقد نوّه الله بذكرهم في الكتب المنزّلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال ها هنا : ﴿**ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ**﴾، ثم قال: ﴿**وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ**﴾ : ﴿**أَخْرَجَ شَطْأَهُ**﴾ أي فراخه : ﴿**فَآزَرَهُ** ﴾: أي شده ﴿**فَاسْتَغْلَظَ**﴾ أي : شب وطال، ﴿**فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ**﴾، أي : فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿ **لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ [5].

---

1 – المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي (5/133).

2 – تفسير ابن كثير (7/340).

3 – الصارم المسلول، لابن تيمية (3/1068/1069).

4 – سورة الفتح، الآية 29.

5 – تفسير ابن كثير (7/361).

وقال ابن الجوزي :"وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور"[1].

وقال القرطبي في تفسيره لهذه الآية : "فالصحابة كلهم عدول، أولياؤه تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر فقال : إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلابد من البحث.

وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم – رضي الله عنهم – ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى ﴿**مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الأمور مبينة على الاجتهاد"[2].

الآية السادسة : قوله تعالى ﴿**لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3].

"في هذه الآية الكريمة وصف شامل للمهاجرين في دوافع الهجرة، أنهم يبتغون ﴿فضلا من الله ورضوانا﴾، وغايتها، و هي: وينصرون الله ورسوله، والحكم لهم بأنهم الصادقون"[4].

1- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (446/7).
2 – الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي (271/16-272).
3 – سورة الحشر الآيتان 8-9.
4 – أضواء البيان، للشنقيطي (72/8).

ثم قال تعالى مادحا الأنصار، ومبيّنا فضلهم، وشرفهم، وكرمهم، وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة، فقال: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾، أي : سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم "[1].

إلى أن قال سبحانه: ﴿**فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، فسمّى الله تعالى المهاجرين "الصّادقين" والأنصار "المفلحين" كما قال أبو بكر –رضي الله عنه– عندما خاطب الأنصار في سقيفة بني ساعدة : قال :"إن الله سمّانا" "الصادقين" وسمّاكم "المفلحين" وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾، [2] [3].

الآية السابعة : قوله تعالى : ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّاوَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[4].

والحسنى : الجنة. قال ذلك مجاهد وقتادة. [5]

لقد حظي الصحب الكرام من الفضل والرفعة والكرامة ما لم يحظ به أحد، فقد امتن الله عليهم برؤية النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به وتصديق رسالته والعمل بأوامره والانتهاء بنواهيه. فنصروا النبي صلى الله عليه وسلم نصرا مؤزرا.

يقول الإمام القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى :﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾[6]، لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبّدنا بالكفّ عمّا

1– تفسير ابن كثير (69/1)

2 – سورة التوبة ، الآية 19.

3 – العواصم من القواصم، لابن العربي، بتحقيق محب الدين الخطيب، ص 38/37

4 – سورة الحديد، الآية 10.

5 – تفسير الطبري (177/23).

6 – سورة الحجرات، الآية 9.

شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبّهم وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضا عنهم[1]. انتهى.

فكفى بتعديل الله لهم من فوق سبع سماوات، وتعديل رسوله ﷺ لهم كما ثبت عنه ﷺ في أحاديث عدة تنوّه بفضلهم، والنهي عن سبهم، وهذا الأخير ما سأتناوله في المبحث الموالي إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع: عدالة الصحابة في السنة النبوية الصحيحة.

لقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على صحابته الكرام – رضوان الله عنهم – في أحاديث كثيرة مستفيضة أظهرت فضلهم وعلو قدرهم، وأكدت عدالتهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظيم منزلتهم عند رسول الله ﷺ، كيف لا وهم من آزروه ونصروه وفدوه بأموالهم وأنفسهم –رضي الله عنهم وأرضاهم.

وسأعرض –إن شاء الله تعالى– في هذا المبحث الأحاديث التي دلّت على عدالة الصحابة –رضوان الله عليهم– وإن لم تأت بصريح العبارة إلا أن ما تضمنته من حسن المدح والثناء خير دليل على ذلك، فما كان النبي ﷺ ليثني على قوم عدمت عدالتهم. ولا أزعم استقصاء كل ما ورد في السنة من ذلك إلا أنني سأسعى جاهدة إن شاء الله تعالى لعرض أهم الأحاديث التي تناولت ذلك وهي أحاديث عدة، منها :

الحديث الأول : عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ، "**خيرُ أُمَتِي قَرْني، ثُمَّ الذِينَ يَلونَهُم، ثُمَّ الذينَ يَلونَهُم**" قال عمران "فلا أدري، أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا". [2]

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :"إن هذه القرون الثلاثة أفضل مما بعدها إلى يوم القيامة، وهذه القرون في أنفسها متفاضلة، فأفضلها : الأول : ثم الذي بعده، ثم الذي بعده، هذا ظاهر الحديث، فأما أفضلية الصحابة، وهم القرن الأول على من بعدهم، فلا تخفى، وأما أفضلية من بعدهم، بعضهم على بعض، فبحسب قربهم من

1 – الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (291/16).

2 – صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم 3450.

القرن الأول، وبحسب ما ظهر على أيديهم من إعلاء كلمة الدين، ونشر العلم وفتح الأمصار وإخماد كلمة الكفر".[1]

وقال أيضا : "الحق الذي ينبغي أن لا يصار لغيره، هو ما ذهب إليه معظم العلماء من أن من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو مرة من عمره، أفضل من كل من يأتي بعده، وأن فضيلة الصحبة لا يعد لها عمل".[2]

وقال الشبيهي[3] متعقبا كلام القرطبي هذا :"وعلى هذا المسلك سلك الشيخ العقباني، كما في المعيار[4]، والشيخ زكرياء[5] في تحفة الباري، والقسطلاني[6] في المواهب، وإرشاد الساري، والعلقمي[7] في الكوكب المنير، وغيرهم من كل من وقفنا على كلامه"[8].

1 – المفهم للقرطبي (486/7).

2 – المصدر السابق (238/6).

3 – هو العلامة الفقيه محمد الفضل ابن محمد الفاطمي بن محمد أبو عبد الله الشبيهي الإدريسي الحسني الزرهوني، ولد في بيت علم وإنصاف وصلاح وتقوى، فقد كان أبوه فقيها وقاضيا وكانت أمه شريفة ومصونة (شذى الروائع مقدمة الفجر الساطع على الصحيح الجامع للشبيهي الزرهوني (110/1).

4 – المعرب المعيار والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب لأحمد بن يحيى الونشريسي (914 هـ)

5 – زكرياء بن محمد بن زكرياء الأنصاري السّنيكي المصري الشافعي شيخ الاسلام ، شيخ الحافظ بن حجر ولد سنة ثلاث و عشرين و ثمانمائة، وتوفي سنة ست و عشرين و تسعمائة . الأعلام (46/3).

6 – القسطلاني : أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو العباس شهاب الدين القسطلاني الفقيه الشافعي المحدث، توفي سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة بالقاهرة. الأعلام للزكلي (232/1).

7 – العلقمي هو محمد بن عبد الرحمان بن علي أبو بكر العلقمي شمس الدين، فقيه شافعي، محدث توفي سنة تسع وستين وتسعمائة. (الأعلام 95/6).

8 – الفجر الساطع على الصحيح الجامع محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الزرهوني (9/4-5).

قال الحافظ ابن عبد البر :"وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون، لأنهم آمنوا به حيث كفر الناس وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم الإسلام"[1].

قال الحافظ ابن حجر : "واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل وهذا محمول على الغالب والأكثرية"[2].

قال الإمام المازري المالكي رحمه الله :"فضيلة الصحبة ولو لمحة، لا يعد لها عمل، ولا تنال درجتها، والفضائل جعلية لا تنال بقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[3].

الحديث الثاني : عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتى ما توعدون**"[4].

قال أبو العباس القرطبي : قوله : "**وأصحابي أمنة لأمتي**" يعني : أن أصحابه ما داموا موجودين كان الدين قائما، والحق ظاهرا، والنصر على الأعداء حاصلا. ولما ذهب أصحابه غلبت الأهواء، وأديلت الأعداء ولا يزال أمر الدين متناقصا، وجده ناكصا إلى أن لا يبقى على ظهر الأرض أحد يقول : الله، الله وهو الذي وعدت به أمنته والله تعالى أعلم"[5].

1 – التمهيد لابن عبد البر (20/251).

2 – فتح الباري (10/445).

3 – الفجر الساطع على الصحيح الجامع محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الزرهوني (9/4-5).

4 – صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أهان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للامة، رقم 2531.

5 – المفهم للقرطبي 6/485.

الحديث الثالث : عن أبي سعيد : قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ : "**لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**"[1].

ذكر الإمام القرطبي –رحمه الله تعالى– بعد إيراده لسبب ورود هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم" لما عدل في غير خالد وعبد الرحمان إلى التعميم وذلك على: أنه قصد مع ذلك تقعيد قاعدة تغليظ تحريم سب الصحابة مطلقا فيحرم ذلك عن صحابي وثيق لأنه إذا حرم على صحابي فتحريمه على غيره أولى، وأيضا فإن خطابه صلى الله عليه وسلم للواحد خطاب للجميع وخطابه للحاضرين خطاب للغائبين إلى يوم القيامة...

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الصحابة –رضوان الله عليهم– لا يلحقهم أحد ممن بعدهم في فضلهم كما تقدم، رضي الله عنهم وعن تابعيهم بإحسان"[2].

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : "وهذا يقتضي ما قدمناه من قول جمهور الأمة من تفضيلهم على من سواهم بتضعيف أجورهم، ولأن اتفاقهم كان في وقت الحاجة والضرورة وإقامة الأمر وبدء الإسلام، وإيثار النفس، وقلة ذات اليد ونفقة غيرهم بعد الاستغناء عن كثير منها مع سعة الحال وكثرة ذات اليد، ولأن إنفاقهم كان نصرة لذات النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته، وذلك معدوم بعده وكذلك جهادهم وأعمالهم كلها، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [3].

1 – صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا، رقم 3470 ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة، رقم 2540.

2 – المفهم للقرطبي (6/494-495)

3 – الحديث الآية 10.

هذا فرق ما فيهم أنفسهم من الفضل وبينهم من البون، فكيف بمن يأتي بعدهم؟ فإن فضيلة الصحبة واللقاء ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا ينال درجتها شيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس" ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[1] [2].

وقال البيضاوي رحمه الله تعالى :"معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص، وصدق النية"[3]. وكذلك مع ما كانوا من القلة، وكثرة الحاجة والضرورة، وأن تلك النفقات أثمرت الشيء العظيم، ولولاها لما قامت قومة الإسلام، وهي السبب في إعلاء كلمة الله، وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين لقلتهم وقلة عدتهم، وقلة النصير وندرة الأنيس فلذا كان جهادهم هو الأفضل ولأن بذل النفس مع النصرة ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها.

الحديث الرابع : قال ﷺ لعمر : "**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** "[4].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : "والله أعلم، إن هذا الخطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقترفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها، بل يوفقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم، لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم، ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقا بالمغفرة. فلو كانت حصلت

1 – الحديد، الآية 21.

2 – إكمال المعلم للقاضي عياض (580/7).

3 – فتح الباري (34/7).

4 – صحيح مسلم، كتاب الصحابة، باب من فضائل أهل البدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة رقم 2494.

بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد وهذا محال".[1]

الحديث الخامس : عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: "**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**"[2].

وقال في الأنصار كذلك : "**لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق**".[3]

و يدل هذا الحديث على مكانة الأنصار العظيمة وأن حبهم واجب عيني حيث جعله النبي ﷺ فرقانا يميز الله به المؤمن من المنافق، وهذا لا شك أن هو أعلى مراتب التعديل والرفعة، حيث جعل النبي ﷺ من أمارات المنافق بغض الأنصار بالإضافة إلى أمارات أخر وردت في أحاديث أخرى وجعل من علامات إيمان المؤمن حب الأنصار، فهؤلاء الأنصار هم من سكن المدينة من الأوس والخزرج، وقد آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان الحقيقي، فأثنى عليه في كتابه قال سبحانه : ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[4]، وزكّاهم وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في هذا الحديث وفي غيره، وفاضل بين دورهم وأحيائهم وأسرهم، وحث أمته على حفظ حقوقهم والحفاظ على عظيم شرفهم، وأمر الله ورسوله المؤمنين بمحبتهم وموالاتهم لما قاموا به من الإيمان والجهاد والنصرة والبذل وإيثار مرضاة الله تعالى على ملازمة متاع الدنيا الزائل، ولدى كانت محبتهم من لوازم ومقتضيات محبة الله ورسوله، فإن من كمال محبة الله الواجبة أن يحب المرء كل ما أحبه الله عن الأزمنة والأمكنة والأشياء والأعيان من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن أعاليهم الأنصار، وبضدها تتميز

1 – الفوائد لابن القيم، ص 19.

2 – صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم 17، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلاماته رقم 74.

3 – صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار، رقم 3572.

4 – سورة الحشر، الآية 9.

الأشياء ومن كان على غير هذا كان مشاقا ومحادا لله ورسوله وكان على غير سنن أهل الإسلام والإيمان الصادقين.

الحديث السادس: عن أبي بكرة رضي الله عنه، ذكر النبي ﷺ قال : "**فإن دماءكم وأموالكم**. قال محمد : وأحسبه قال: **وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وكان محمد يقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك ألا هل بلغت مرتين**"[1].

وجه دلالة الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم : أن هذا القول صدر من النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهو من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحدا، واستشهدهم على أمور عظام بها يقوم الدين ويتم إكماله، ولاشك أن هذا يدل على عظم الشهادة.

قال ابن حبان "وفي قوله صلى الله عليه وسلم" ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب" أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف، إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثني في قوله ﷺ وقال : "**ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب**" فلما أجملهم بالذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول وكفى بمن عدله رسوله ﷺ شرفا"[2].

والحاصل أن هذه الأحاديث وغيرها دلّت على فضل الصحابة وعظيم منزلتهم ومكانتهم، فكانوا أعدل الناس وأقومهم، ويكفيهم شرفا مخالطتهم لرسول الله ﷺ فكان لزاما على كل امرئ مسلم أن يظهر فضلهم وعلو قدرهم.

1 – صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد منكم الغائب، رقم 105.
2 – الإحسان بترتيب صحيح ابن حيان (91/1).

الخاتمة

وفي ختام هاته الأسطر، الذي أظهرت لنا مكانة الصحابة السنية، ومنزلتهم العلية، هذه بعض النتائج والتوصيات التي خلصت إليها من خلال عملي هذا :

– العدالة هي ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى، والمحافظة على المروءة مع اجتناب خوارمها ونواقضها، وهذا لا يتحقق إلا بفعل المأمور به وترك المنهي عنه.

– منهج أهل السنة والجماعة المقرر لعدالة الصحابة رضي الله عنهم لا يلزم منه أنهم معصومون من الخطأ والسهو والغفلة والنسيان. ولا يقتضي تعديلهم أنهم على درجة واحدة في الفضل والتقوى، والعلم والإيمان، بل هم درجات ومراتب.

– لقد أثنى الله تعالى على الصحابة الكرام في كتابه و هذا يستلزم التعديل .

– لقد أثنى النبي ﷺ على صحابته الكرام – رضوان الله عنهم –في أحاديث كثيرة مستفيضة أظهرت فضلهم وعلو قدرهم، وأكدت عدالتهم.

– إن معرفة فضل الصحابة ومنزلتهم العلية من المطالب الشرعي التي دعت إليها شريعة الإسلام.

لائحة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الحديث القاهرة.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: علاء الدين الفارسي (ت 739ه) تحقيق شعب الارناؤوط.الطبعة 1. مؤسسة الرسالة بيروت (1407 ه).
- إكمال المعلم لفوائد مسلم، للإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض الأندلسي السبتي المالكي المعروف بالقاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة 1، 1419ه.
- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، دار سحنون.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر النمري القرطبي، دار الحديث.التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة للدكتور عبد الرحمان حجي . الطبعة الاولى سنة 1403ه . 1973م دار الاعتصام .

- تفسير القرآن للطبري، دار المعارف.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر النمري القرطبي، دار الحديث.
- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، دار الكتب العلمية.
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ، للإمام ابن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار ابن حزم.
- العواصم من القواصم، للإمام أبي بكر بن العربي .. اعتناء الشيخ عبد الحميد بن باديس. المطبعة الجزائرية.
- الفوائد، لابن القيم، المكتبة القيمة، الطبعة الأولى، 1404 هـ.
- الفقه الأكبر، لأبي حنيفة.
- الفوائد، لابن القيم، المكتبة القيمة، الطبعة الأولى، 1404 هـ.
- الفجر الساطع على صحيح الجامع، محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الزرهوني، المحقق : عبد الفتاح الزنيفي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى.
- الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر : 1357ه.
- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف.
- المستصفى من علم الأصول، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (505-450هـ)، دراسة وتحقيق : الدكتور حمزة بن زهير حافظ.
- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، للقرطبي، دار ابن كثير، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، الطبعة الاولى .
- مختصر منتهى السؤال والأصل في علمي الأصول والجدل، ابن الحاجب (571 – 616هـ) دراسة وتحقيق الدكتور نزير حمادو، دار ابن حزم، الشركة الجزائرية للطباعة.
- المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1422 - 2001
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ.
- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، للقرطبي، دار ابن كثير، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، الطبعة الأولى.